

سورية وكويتيتان يحولن نشرات الأخبار إلى قصص

وبورها تقول أفرح الهندال "كنا نكابد الإنشاء عبر مرصد صغير يطل على مآهة هذا العالم؛ بين حرب وحمى، وترحال كثير من الموت إلى الموت، وبينها صور كثيرة عن الحب والحياة، لا أعرف كيف تتم تجزئة هذه المشاهد المنهالة كلها بخبر صغير قريب من أخبار الوفيات؛ أو كيف يكون الاكتفاء بالحدث من دون تلمس تشظياته؛ أو كيف نقرأ الخبر مجرداً وفي المآهة عوالم متوازية مضت أو قد تأتي يوماً ما، كنا نكابد الأنباء.. وفي كتاباتنا نحزّر النبوءات".

أما عن الاستغلال الأدبي في المجموعة، تقول الكاتبة أفرح الهندال "هي مجموعة قصصية، عملنا فيها معاً لأكثر من عام، لم نجمع قصصنا معاً فحسب، وإنما كانت التجربة مشروعاً مشتركاً بيني وبين الصديقتين سوزان خواتمي وإستبرق أحمد، الهموم ناوشتنا وتقاطعت في المشهد الواحد المائل أمامنا، أخبار العالم نشرة لا تنتهي فجانعها وغرائبها ولكننا دوناً ما التقطه "مرصد المآهة"، وكتب كل منا برؤيتها الخاصة، فالطفل في الخبر.. ليس الطفل في نصي أو في نص أي من إستبرق أو سوزان، كل منهما كانت لها حياة مختلفة، وهذا ينطبق على شخص من المجموعة كلها".

أما الكاتبة إستبرق أحمد فتري أن نصوص المجموعة "نوع من التضامن تجاه عالم يتفكك، ويضغط فيه الفضاء العام على حياة الأفراد مسلطاً بضوضائه على أسماعهم".

نصوص المجموعة نوع من التضامن من خلال الأدب تجاه عالم يتفكك ويضغط فيه الفضاء العام على حياة الأفراد

وتمثل القصص القصيرة للمجموعة أسلوباً خاصاً في تناول الخبر كما توضح أحمد، مع الحفاظ على الرؤية الخاصة لكل من الكاتبات الثلاث، ومن هذا، جاءت تسمية عنوان المجموعة: "الأخبار العالقة في المشهد".

تحدثت سوزان خواتمي عما أسمته "معمل البسكويت" الذي ابتكرته مع أفرح وإستبرق كحلقة لتبادل الرأي وإنتاجه حول ما يكتبونه ضمن مشاريعهم الخاصة، تقول خواتمي "ثم لاحقاً قررنا أن نحزّر معمل مشترك غير تقليدي، وليس مجرد تجميع للنصوص، لذلك بحثنا عن فكرة غير مطروقة، فكانت الأخبار التي تتناقلها الصحف والمواقع لتؤسس عليها عوالمنا القصصية، والنتيجة ستة أخبار انفجرت في جوهنا لتتحول بلزمة خيال وربما تحد إلى 18 قصة قصيرة تعبر ليس فقط على تنوع الأسلوب واللغة والمشهدية وزاوية الانقطاع بل توضح أيضاً اختلاف الرؤى، وهذا ما يميز التجربة".

وتذكر أن المجموعة القصصية المشتركة "مرصد المآهة" صدرت حديثاً عن منشورات كويتين في الكويت.



ثلاث كاتبات يعدن تشكيل الأخبار (لوحة للفنان عياد النمر)

الكويت - قد يرى الكثيرون أن الكتابة المشتركة أقل قيمة من سواها، نظراً إلى اختلاف الأمزجة والأرواح والأقلام والأساليب، وقد يستشهدون بغياب مثل هذه الأعمال عن الترويج بالجوائز أو بغلبة كاتب على آخر فيها، لكن بعيداً عن الاتهامات الجاهزة فإن العمل الأدبي المشترك ممكن ووارد لو تحققت فيه شروط التكامل.

وعربياً عرفت الساحة الأدبية عدداً من التجارب المشتركة مثل رواية "عالم بلا خرائط"، التي ألفها عبدالرحمن منيف وجبرا إبراهيم جبرا، وفي الخمسينيات من القرن الفائت نجد الرواية المسرحية "القصر المسحور" التي اشترك في كتابتها أدريان من أهم الأسماء العربية هما طه حسين وتوفيق الحكيم، قدما من خلالها عالماً خيالياً لا يقل سحراً عن عالم الليلة وليلة.

ورغم ندرتها فإن الأعمال المشتركة يمكنها أن تقدم أدباً رفيعاً، إن يتطلب ذلك كما يقول الروائي زين عبدالهادي "وحدة فكرية في العمل"، وهو ما نجد في المجموعة القصصية الجديدة بعنوان "مرصد المآهة" لثلاث كاتبات عربيات. تضم المجموعة القصصية المشتركة "مرصد المآهة" 18 نصاً قصصياً، لكل من الكاتبات سوزان خواتمي من سوريا، وإستبرق أحمد وأفرح الهندال من الكويت، حيث اجتمعن في المرصد المتخيل لكتابة "الأخبار العالقة في المشهد"، وهو العنوان الثانوي للمجموعة.

وتتلخص فكرة المشروع القصصي بوقفات إنسانية أمام مشاهد مما يحدث في العالم باشتغال أدبي، حيث تشكل بعض الأخبار المقطعة من نشراتها اليومية مواقف يعاد بثها من خلال النصوص القصصية، عبر الرؤية الخاصة لكل كاتبة على حدة، فكل خبر مقتطع يمثل مشهداً قصصياً في حد ذاته، تتبعه ثلاث نصوص سردية، كل نص قصصي منها يمثل رؤية كاتبة.

تقول إستبرق أحمد "تندفع ثقيلة في ممر طويل ولامع، تندرج متجهة إلى قوارير بيضاء متحفة، هي كرة البولنغ رقم 8 التي تناسبتني وغيرها بالنسبة إلى اللاعبتين، لكنها في الوقت ذاته واحدة، تجري مسرعة، فإما انحراف عن مسارها وإما تصد الأهداف".

وهكذا هي الكرة/ الخبر/ الموضوع الذي انزلت أخبار الكاتبات الثلاث، للوصول إلى الكتاب/ القصة، التي تمثل تجاربهن في هذه المغامرة. متصدبات للصعوبات وللاستئلة، كل منهن بأسلوبها. أما سوزان خواتمي فتقر بان "الكتابة مغامرة غير محسومة النتائج، لا تعادها إلا متعة قراءة عمل محفز. كانت فكرة "معمل البسكويت" في أولها تشجعني على اللأكل. من الطريف أننا خلقنا مناخاً للكتابة، فالأخبار الصحفية امتحان للمخيلة. كان علينا أن نخوض في مآهات تضيق وتنفرج على هذا النحو أو ذاك من المواضيع الخاصة لنور عن الكرة الأرضية. الجميل حقاً أننا خرجنا برؤى مختلفة، كل منها يخص قلم كاتبته وأسلوبها، وفتحنا الأفق، وتحطينا العقبان، ولكل منا بصمته الشخصية".

وتشير إلى أنه جاء في سياق تقديم جائزة نوبل لدليدا "نجد في روايات دليدا أكثر مما نجد في غيرها وحدة فريدة بين الإنسان والطبيعة، حتى أنه قد يمكن للمرء أن يقول إن البشر في رواياتها هم نوع نباتي ينمو في تراب جزيرة سردينيا. أكثر أبطالها هم فلاحون بسطاء بدائيو المشاعر والأفكار، لكنهم يتحلون بشيء كثير من غلظة بناء الطبيعة في سردينيا بل إن بعضهم يضاهي في الضخامة عملاقة بعض شخصيات العهد القديم".

«الأم» قصة حب تتحول إلى خطيئة

المجتمع المتدين في سردينيا يعاني من القلق والصراعات



الأم مشاعر محزنة على البعض (لوحة للفنانة نور بهجت)

وعالمها الخاص بها، من دون أن يحقق كل منهما مراده بالمطلق.

تؤكد دليدا على صمود الأم في وجه المحنة التي تكاد تدمر ابنها، وتسعى عبر قوة الأمومة للدفاع عنه، وكأنها تخوض حرباً ضد أعداء متخيلين يخططون للفكك بحياة ابنها، تصلي بطريقها لإنقاذه من خطاياها، وانتقاله من حبه الذي قد يجعله منبوذاً ومطروداً من الكنيسة التي تظل وفيه لها.

وتؤكد كذلك على أن الأم تحافظ على قوتها من أجل ابنها، وتكون أمومتها حصناً لها ولابنها الذي يستدل إلى طريق العودة إلى ريشه المفترض بدوره، من دون أن يتخلل عن مشاعره التي ساعدته على تفهم الآخرين أكثر، وتقبل اعترافهم بمزيد من القدرة على الغوص في خبايا نفوسهم المضطربة الباحثة عن درب لنشدان الأمان والطمأنينة.

وتشير إلى أنه جاء في سياق تقديم جائزة نوبل لدليدا "نجد في روايات دليدا أكثر مما نجد في غيرها وحدة فريدة بين الإنسان والطبيعة، حتى أنه قد يمكن للمرء أن يقول إن البشر في رواياتها هم نوع نباتي ينمو في تراب جزيرة سردينيا. أكثر أبطالها هم فلاحون بسطاء بدائيو المشاعر والأفكار، لكنهم يتحلون بشيء كثير من غلظة بناء الطبيعة في سردينيا بل إن بعضهم يضاهي في الضخامة عملاقة بعض شخصيات العهد القديم".

الإنسان الساعي لعيش إنسانيته بكل المشاعر والأحاسيس، ويدله الحب على طريق السعادة، لكنه يكون مقيداً بواقع كونه قسماً ينتظر منه أن يؤدي واجباته الدينية ويقع نوازعه الشخصية، ويكون ملأماً للآخرين الظنانيين يسمع اعترافاتهم ويمنحهم بعض السكينة والطمأنينة.

تثير دليدا أسئلة عن إمكانية منح شخصية قلقلة الطمانينة ومشاعر الأمان للآخرين، وكيف أن المشاعر قد تكون متغيرة من شخص لآخر، بحيث يكون الإيمان عامياً من جهة، ومخلصاً من جهة أخرى، ناهيك عن تلك الرغبة الجارفة بالبحث عن الخلاص والأمان ولو من باب الإيحاء به، أو اختلاقه في مرحلة ما لتضمن مقومات استمرارية العيش وسط ركام ماسي الواقع.

تمثل أنييزه رمزاً للإغواء، وهي تدل على تلك القوة التي تثيرها الشهوة الحارقة لإطفاؤها بالوصال، وتخطي قيود الأوامر الكنسية، وكيف أن الصراع في النفس البشرية يكون أكثر شراسة من الصراع الظاهري، حيث الصراع الخفي يقود المرء في حياته، ويرسمه بالصيغة التي يظهر عليها، أو تلك التي يشعر بها في داخله، وتتمزج على أرض الواقع بصور مختلفة، قد تصل لدرجة تدمر معها أنطاليا أو أولئك الذي تسكنهم وتحركهم بخيوطها اللامرئية.

بالإضافة إلى القلق الغير تنقل الروائية قلقاً من نوع مختلف، قلق الابن والأم، والبنوة والأمومة في مرحلة مختلفة من العاطفي، حيث الأم خادمة الكنيسة والابن كاهنها وسيدها، ويسعى كل منهما إلى تخليص الآخر مما يثقل عليه ويكبته بطريقة ما، لكن تلك المحاولات تبقى في سياق المساعي لتبرئة الأرواح مما يغربها عن ذاتها

ما قد يترتب عليه من نتائج مؤلمة، لكنها تكون أقل إبلاماً وإيذاء من الهروب والتعاضد.

وتحتل فكرة الهروب خيال الشخصيات الهاربة من نفسها، ومن محنتها التي تضغط عليها، مثل الأم تهرب من البلدة، بولو يفكر بالهروب من الكنيسة، وأنييزه تفكر بالهروب دورها من عالمها القاهر، ناهيك عن الفكرة التي تتناهب أبناء البلدة، والتفكير بأن الهرب قد يحمل علامات أو بوادر خلاص مأمول.

تصور الروائية القلق الذي يجتاح شخصياتها، فالأم التي تعمل خادمة للكنيسة، وتجاهد لتؤمن لابنها مستقبلاً يليق به، ومكانة معتبرة أسمن من مكانتها، تحرص على تربيته وتقديمه للكنيسة كي يصبح قساً محترماً مخلصاً لها، ويحظى بالمكانة التي تريدها له في السلم الاجتماعي، وتخطط لسعادته في تلك المكانة، من دون أن يخطر لها أنه قد يحتاج لعوامل أخرى، أو يختار لنفسه درباً مختلفاً نحو السعادة المتخيلة التي يرنو إليها.

شقاء وسعادة

تعيش الأم شقاءها المطلق بعد اكتشافها حقيقة الخطيئة التي يغوص فيها ابنها، وكيف ينعكس الإثم على كل تفصيل من تفاصيل حياتها وحياته، تتخيل أن الحب الذي يلهب قلب ابنها وروحه يستبب بخراب الكنيسة، ويسبب لها فاجعة شخصية، يزيد من قلقها، ويخيب أملها بالمكانة السامية المنشودة لابنها بولو، في الوقت الذي لا تستطيع التفكير فيه بأي شيء خارج قيود الكنيسة الضاغطة، أو الإيمان المتخيل بالنسبة لها.

والقلق الذي تعيشه الأم وتعانيه صورة مختلفة عن القلق الذي يدمر حياة بولو ويكاد يفقده رشده، ويجد نفسه منقسماً بين ذاتين وعالمين، فهو

تعتبر غراتسيا دليدا من أهم الأدباء الإيطاليين على مر التاريخ، حيث كانت ثاني امرأة في العالم تتال جائزة نوبل للآداب، وقدمت على مدى تجربتها الأدبية قرابة خمسين رواية ومجموعة قصصية، لكن القارئ العربي يجهل الكثير من أعمال الكاتبة على غرار روايتها الشهيرة "الأم" التي كشفت فيها وجهاً خفياً من المجتمع المتدين.

هيثم حسين
كاتب سوري

تعد رواية "الأم" للإيطالية غراتسيا دليدا (1871 - 1936) الحائزة على جائزة نوبل للآداب سنة 1926، بمثابة فاتحة لتيار روائي مختلف وجديد في الرواية الإيطالية، حيث أن دليدا التي كانت ثاني امرأة تحصل على جائزة نوبل، وصفت أعمالها بأنها تمثل حجر الأساس في بناء تاريخ الأدب، وإعادة نشر أعمالها يشهد بالاهتمام المتزايد بإنتاجها.

ترتبط رواية "الأم"، الصادرة في دمشق عن منشورات التكوين بترجمة نبيل رضا المهدي، كغيرها من أعمال دليدا ارتباطاً وثيقاً بموطنها الأصلي؛ جزيرة سردينيا، وأوجدت تشابهاً كبيراً بين أماكن الجزيرة وطبيعتها، ونفسية الكثير من الشخصيات في الرواية.

المشتكى والممنوع

تختار دليدا شخصية ماريانا مادالينا لتكون بطلة روايتها، وهي أم بولو خوري كنيسة بلدة متخيلة على جبال جزيرة سردينيا تسميها آر. وتحكي قصة حب جامحة بين الخوري وفتاة اسمها أنييزه التي تعيش وحيدة في البلدة، وتتسبب علاقة الحب بمعاناة شديدة للأم حين اكتشافها لها، ويعيش الخوري كذلك صراعاً محتدماً وقلقاً لا يهدأ جراء الخطيئة التي يقترنها، ويحاول ترك حبيبته التي تتشبث به بعنف، وترفض تركه لها، وتهدد بفضحه أمام المصلين في الكنيسة التي يقيم فيها القداس، لكنها لا تنفذ تهديدها، في حين أن هموم ذلك الحب وتأثيراته المتخيلة تصيب الأم في مقتل.

الرواية تصور واقع الدين في البلدة المتخيلة، والصراع في النفس البشرية، بين المشتكى والممنوع، المرغوب فيه والمحرم

تصور دليدا واقع الدين في البلدة المتخيلة، والصراع في النفس البشرية، بين المشتكى والممنوع، المرغوب فيه بشدة والمحرم بأوامر دينية، بين الإخلاص للنفس وعيش المشاعر الحقيقية الصادقة الإنسانية، أو الإخلاص للقسم الذي تمت إدايته تحت ضغوط سابقة، سواء اجتماعية أو أسرية أو مؤسساتية، للكنيسة التي تحرم ذلك النوع من الحب بالنسبة لخوري يفترض أنه رهن حياته لخدمتها.

تلقت إلى تأثير الإشاعة المدمر حين تنسرب إلى أرواح أبناء البلدة بعد أن تستقر في أذانهم، وتستوطن كيانهم وتقوم بتحريكهم كأنهم دمن خاضعة لقوتها وتأثيرها، كالإشاعة التي ادعت أن اللعنة قد حلت على كنيسة البلدة، وأن القس القديم تاه عن الصراط المستقيم بعد أن أغرته لمذات الدنيا، ويكون القس الجديد بولو مثلاً مقترضاً للخلاص والتجديد، لكن الأم مادالينا تعرف الخبوء وتعاني جراء خطاياها التي تتسبب بقتلها قهراً.

تشير دليدا إلى أن الهروب لا يجدي في الكثير من الأحيان، وأن على المرء مواجهة واقعه بكل ما فيه من مأسا ومعاناة، وألا يتعاضد عنه بالهروب إلى الأمام، على أمل أن تتبدد غيوم الماسي التي تغرقه وتحاصره من تلقاء نفسها، وأن المواجهة فعل بطولي رغم